مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 16 العدد 02 بتاريخ 2020/06/15

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

دور توظيف النصوص الدينية الأنثروبولوجية في الرواية الجزائرية المعاصرة.

The role of employing the anthropological religious texts in contemporary Algerian novel.

طالبة دكتوراه: فايزة جباري[1]، أ.د. محمد بلقاسم [2]

[1]faiza djebbari [2] mohammed belkacem

[1]جامعة أبي بكر بلقايد– تلمسان، djebbari-faiza@hotmail.com

[1]University of Abou Bakr Belkaid-Tlemcen.

[2]جامعة أبي بكر بلقايد–تلمسان، kacem1962@gmail.com

[2]University of Abou Bakr Belkaid-Tlemcen.

تاريخ الارسال: 2020/02/04 تاريخ القبول: 2020/03/10

ملخص:

تتناول هذه الدراسة دور توظيف النصوص الدينية الأنثروبولوجية في الرواية الجزائرية المعاصرة كما تتطرق إلى أنماط وأشكال هذه النصوص في النص الروائي قياسا مع المناهج الحداثية المتداولة في الخطاب الروائي العربي الجديد، مع تحديد النقاط الأساسية التي ينبني عليها النص الديني داخل البنية السردية وما مدى المرجعيات المتوخاة من توظيف النص الديني ودوره في نشر تعاليم الدين الاسلامي وتوعية الفرد والمجتمع بالإضافة إلى إدخال تقنية فنية جديدة في الرواية الجزائرية المعاصرة من خلال توظيف النص الديني الأنثروبولوجي.

كلمات مفتاحية: دور.، الأنثروبولوجيا.، رواية.، معاصرة.، النص الديني.، جزائرية

Abstract:

This study tackles the role of employing the anthropological religious texts in the contemporary Algerian novel.It also covers the patterns and types of these texts within the narrative complying with the recurrent modernist methods in the new Arab narrative discourse.By doing so, this research identifies the main points upon which the religious text is built within the

[1] المؤلف المرسل: فايزة جباري، djebbari-faiza@hotmail.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

narrative structure,the role of the references used in employing the religious text and its part in spreading the Islamic instructions and individual and social awareness, in addition to the insertion of a new esthetic technique in the contemporary Algerian novel through making use of the religious text anthropology.
Keywords: Role; anthropology; novel; Algerian; religious; text; contemporary.

مقدمة:

تعد الرواية الجزائرية الدينية أو الإسلامية المعاصرة ذات بعد أنثروبولوجي ديني، ومنبعٌ أساسي خالصٌ يتجلى مقصده إلى إتخاذ النص الديني الأنثروبولوجي جوهرا لهذا اللون الأدبي الأصيل الذي يتخذ من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف مرجعا له، فقد أخذ يشق لنفسه طريقه الخاص والمتميز، إذ لم يلبث إلا بضع سنوات حتى صار يحتذى به في العديد من الملتقيات الفكرية والإسلامية في شتى أقطار الوطن العربي، ونسعى في هذه الدراسة إلى إيجاد طرح نصبو من خلاله إلى إدراك ما هو مدى دور النص الديني الأنثروبولوجي في مرجعيات سردية تكشف سُبُلَ وطرائق توظيف النص الديني داخل أنساق الرواية الجزائرية المعاصرة. متبعين في ذلك خطوات على شكل إشكالات للتوصُّل إلى المغزى المراد في النقاط المنهجية الآتية:

1- ماهي النظرة العامة لواقع الرواية الجزائرية الدينية المعاصرة؟

2- ماهي أهم مؤثرات تطور الرواية الجزائرية الدينية المعاصرة؟

3- ما هو دور توظيف النصوص الدينية الأنثروبولوجية في توعية الفرد والمجتمع؟

4- ما هي آليات توظيف النص الديني الأنثروبولوجي في الرواية الجزائرية المعاصرة؟

أولا: نظرة موجزة حول الرواية الجزائرية الدينية المعاصرة:

كان من المسلَّم أن آثار وأصول الرواية الدينية المعاصرة في الجزائر، ترجع لا محالة إلى تلك الروح الدينية والاسلامية التي يمتاز بها الأديب الجزائري، وكذا نمو الحضارة نموا ينجلي إلى إمتزاج ثقافات فكرية إسلامية تلاقت فأحدثت وصنعت لدى الأديب والكاتب الجزائري، وقفة تأملية تحمل في طياتها حضارة ثقافية إسلامية جسَّدها في كتاباته الروائية بكل ما تحمله الكلمة من معنى، لذلك نجد أن الكتاب والروائيون البارزون في هذا اللون الأدبي، قد أمدوا الكثير عما سواهم، فانتشرت أواصره إلى رقعة المغرب العربي وحتى

المشرق العربي، وأصبح لها بعدا خاصا يطبعها فكان لها الأثر الأكبر، فلقد ذهب ذلك الروائي لأن ضمنها سياقا متميزا عن باقي الفنون النثرية الأخرى، بأن وظف النصوص والرموز الدينية.

فغذت الرواية الجزائرية الدينية أو الاسلامية تضع لها الركائز الهامة وذلك بتوظيفها للنصوص الدينية، فجُعلت منها قضية مثلى من القضايا المثارة في الساحة الأدبية والفكرية في العديد من أقطار العالم العربي وحتى الغربي منه، لذلك وباعتبار أنها اتسعت أهدافها إلى أن صارت تعالج قضايا اجتماعية معاصرة وأضحت مصدرا أساسيا يبدع فيه الكاتب بتبيانه لتعاليم الدين وأسسه إضافة إلى توظيفه للقصص الديني، فنظرتها ومصدرها الأوَّل هو القرآن الكريم، وبإعجازه البليغ، وبهذا ارتقى هذا اللون الأدبي وتشعبت ضروبه وأقسامه وشعبه وراح يرسم سياقا ذا بعد ديني يتجلى أساسا في توظيفه النصوص الدينية.

ومن ناحية أخرى تعتبر الرواية في الوقت الراهن «أداة من الأدوات الفعالة في التعبير عن الموافق والقضايا والأفكار والأيديولوجيات والفلسفات المعاصرة التي يصطدم بها الواقع، وتصطرع في جنباته، فلم تعد ذلك الفن الذي يقدم المتعة الفنية أو التسلية الذهنية فحسب، بل صار الفن الذي ينضح بالرؤى والتصوُّرات والأحلام التي تعتمل في وجدان الكاتب، ويسعى لتوصيلها إلى أكبر حشد من الجمهور... (حلمي محمد القاعود، 2008، صفحة 13)»وبهذا التفسير الصائب لفن الرواية، يجدر بنا أن نقول أن الرواية لابد لها أن تكون محلَّ إبداع أصيل وتراثي يعمد إلى أن يجسِّد روحًا دينية، تقدم على توظيف كل ما هو تراثي وعقائدي، ليصل في نهاية العمل الروائي إلى وضعِ أساسٍ ديني يعمل على نشرِ القيم والأخلاق التي حثنا عليها ديننا الحنيف.

ثانيا: مؤثرات تطور الرواية الجزائرية الدينية المعاصرة:

أ–تأثير مبدأ الواقع لدى الأديب الجزائري:

لعل المؤثر الأول الذي دفع الأديب الجزائري إلى الكتابة القصصية الدينية هو المبدأ الواقعي الذي له تأثير واضح ومتباين قادته إلى التوغل في عمق المجتمع، وردِّ الاعتبار للفرد الجزائري ذلك أنه عايش عدة أحداثٍ، كان لها الوقع المؤثر في تلك الكتابات، فموازاة مع هذه الأحداث التي تندرج في نظر الأديب إلى التيار الواقعي ذلك أنها تصوِّرُ الوقائع بمتجلياتها الكاملة، فمثلا نرى أن الثورة الجزائرية، كانت قد أخذت النصيب الأوفر من الأعمال الروائية الواقعية لدى الكاتب الجزائري، بإعتبار أنها هيَّأت الفكر ونظرت إلى ضرورة نشر الوعي لدى الفرد والمجتمع للظفر بالحرية وإستقلال الجزائر، فهكذا عمل الأدباء الجزائريون إلى

تنويع المقاصد من خلال بلوغ الهدف الأسمى وهو نشر الوعي الثقافي والفكري والديني في الأوساط الاجتماعية، ومن ناحية أخرى فقد حافظت على التراث والأصالة، فانتهجت بذلك سبيلا يخدم ويميل إلى الوعظ وجعل التوعية بأمور الدين أساسا يعمل على إصلاح المجتمع بعامته والفرد بخاصةٍ.

فالواقع أن الأديب أو الروائي الجزائري كان يكثر وينوع من طرائق الوعظ والإرشاد، ليفتح بذلك مجالا للوعظ الديني الذي مزج فيه بين الواقع المعاش في الحياة الاجتماعية للفرد وبين الأصالة والتراث بما فيه المحافظة على تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، فالرواية الجزائرية استوحت مواضيع نجدها تدور حول الذود عن الوطن وتمجيد نضال الثوار والثورة الزراعية وقضايا المرأة الجزائرية في ظل ظروف كانت تعايشها في فترات الخمسينات إلى الستينات والسبعينات وصولا إلى التسعينات حتى يومنا هذا.

فبتطور الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في الجزائر، وحدوث التغيير الجذري لأنماط الحياة تطورت بذلك سبل العيش ونمت، واتجه المواطن الجزائري نحو بناء وتشييد هذا الوطن ومن تنامي الفكر والثقافات بمختلف شُعبها، فدأب الأديب الجزائري إلى اتخاذ الكتابة الروائية وسيلة لنشر ومعالجة قضايا اجتماعية كثيرة، مستعينا بذلك على ما يجري بواقعية محضة داخل كينونة المجتمع وما يحمله من أحداث ونزاعات وصراعات يعايشها الفرد الجزائري ككل المجتمعات العربية الأخرى، فقد عالج العديد من الروائيين الواقع والذي وصفه الروائي الجزائري وعبَّر عنه « بصدقٍ وواقعية عن معاناة وطموحات الانسان الجزائري وكفاحه المسلح في سبيل الاستقلال، ونضاله القاسي في سبيل إقامة مجتمع الكفاية والعدل عن طريق الثورة الزراعية والتسيير الاشتراكي، كما عبَّرت بجسارة واقتدار عن السلبيات التي سادت التطبيق الاشتراكي... (عبد الله ابو هيف، 2007، صفحة 129)»

ب– تأثير مبدأ الهوية والأصالة والتراث لدى الأديب الجزائري:

يعد هذا المبدأ ذا أهمية جادَّة أضحت تسير على وتيرة متزامنة مع المعطيات التي تسعى إلى ترسيخ المبادئ والتي تدعم وتحافظ على الهوية والتراث الأدبي، لذلك فاتخاذ المثقف الجزائري السبيل لوضع مسار يكمن في إثراء هذه المعطيات الثقافية والأدبية وتجسيدها على أرض الواقع باعتبار أن مبدأ الهوية هو «الطريقة التي يمكن من خلالها أن يحدد الأفراد أنفسهم بوصفهم أعضاء، في مجموعة ما نحو (الأمة–الطبقة الاجتماعية–الثقافة–العرق –الجنس وغير ذلك) (معجب العدواني، 2013، صفحة 8)»

وفي هذا الصَّدد تقف هذه المعطيات على العمل للمحافظة على «الجوانب الثقافية المتداولة والمتوارثة في ثقافتنا وخلقت نوعا من القبول بمبدأ الوحدة الذي يتجسَّد عبر تلك المحدِّدات في عصورٍ مختلفةٍ... (معجب العدواني، 2013، صفحة 8)»

ذلك أن هذا التواصل الفكري، وهذه الأواصر التي جمعت بين الهوية والأصالة والتراث بدت ظاهرة أيضا من خلال «العوامل الحديثة التي أسهمت في تطور العالم العربي (معجب العدواني، 2013، صفحة 9)» والذي بدى «دورها الذي يمكن تجاهله في تشكيل هوية ثقافية واحدة... (معجب العدواني، 2013، صفحة 9)» ومن هذا المنطلق يمكننا القول أن هذا المبدأ قد أثر وبشكل مباشر في تكوين شخصية وقوام المثقف والأديب الجزائري.

فبالرجوع إلى أصالة المجتمع الجزائري، الذي مرَّ بأحداث عديدة، يتحدث الدكتور حسن عليان عن مدى تشكُّلِ وإبتناء "الهوية الوطنية والانتماء القومي (حسن عليان، ط 1. 2015، الصفحات 127-141)" منذ زمن الثورة التحريرية الكبرى في الجزائر التي عملت على تقدير وتكريس مثل هذه الشخصية المقاومة والمناضلة فرفعت بذلك من شأن "الهوية لدى المثقف الجزائري" بإعتبار أن « المناخ الجزائري بكل مشكِّلاته إبَّان الثورة الجزائرية لتحرير الأرض والانسان هو نتاج الشعور العميق بالهوية الوطنية والقومية، وقد توالد عن هذا المناخ أو الفضاء حركة التحرير الجزائرية، ولم يأتِ هذا التوالد أو التناسُلُ من فراغ، وإنما هو حصيلة عوامل متعددة، فالجزائر كانت تعيش في قبضة الاحتلال، بما يعنيه من كبتٍ وقهر وقتلٍ وإنعدام حريات حيث الحقوق المهضومة والحريات المعدومة، وتتبدى هذه الصورة، صورة الاحتلال وضرورة المقاومة بالحراك التعبوي والشعبي والمقاوم، وبالشعور بإختناق الانسان والوطن... (حسن عليان، ط 1. 2015، صفحة 133)» فحسن عليان بهذا القول قد أبرز أن الثورة الجزائرية هي التي دفعت بالمواطن الجزائري، لبلوغ ذلك الإنتماء القومي والهوية والشخصية المقاومة لأي تهجم ضد العروبة والأصالة الوطنية الجزائرية، ذلك أننا نلحظ أيضا ذلك التعايش للرواة الجزائريون لمثل هذه القضايا التي تتعلق بالوطن والقومية والهوية الوطنية، أمثال الروائي الجزائري الطَّاهر وطَّار في روايته "اللاز" والذي استحضر فيها عدة شخصيات ذات هوية وطنية مقاومة ضد ظلم الاحتلال، مثل شخصية قدور « أحد شخصيات رواية اللاز يستعيد الأسباب الفاعلة في إنتماءه لحركة التحرير، وقد اعتمد تيار الوعي لإستحضار الماضي وإستدعاءه ليعينه بتفاصيله الدقيقة، وليرسم صورة المقاومة وزمن الفعل والعوامل المشكلة لحراك المقاومة بالحوار والنِّضال وليكشف لنا

كيف استطاع ابن عمه أن يقنعه بالالتحاق بحركة المقاومة... (حسن عليان، ط 1. 2015، صفحة 133)» فهذا التفاعل بين الشخصيات قد أوجده الطاهر وطار ليفسِّر مدى أهمية التواصل فيما بينها ليعيد ذلك «التوازن إلى العلاقات الإنسانية والفكرية والاقتصادية والثقافية للفرد الجزائري، ليحيا إنسانيته، ويمارس وجوده بالحركة والعمل والتعليم والحرية دون ظغوط خارجية... (حسن عليان، ط 1. 2015، صفحة 133)» وتظهر أيضا شخصية أخرى في نفس الرواية "اللاز" للطاهر وطَّار هي شخصية "زيدان" الذي أدرجها الروائي بانتسابها إلى "الفكر الماركسي" على حد قول حسن عليان إذ «لعبت دورا مهما في تشكيل الرُّؤية والهدف والانتماء والالتحاق بالثورة دون أن يستشير قيادة الحزب الشيوعي... (حسن عليان، ط 1. 2015، صفحة 135)».

وقياسا مع ما ورد في الفنون النثرية لمثل هذه القضايا، باعتبار أن الرواية هي «الأكثر تعبيرا عن المجتمع شخوصا، وممارسات وثقافة وتوجهات... (مصطفى عطية جمعة، ط1 . 2011، صفحة 39)» فدور هذا الفن هو تبيان ومعالجة عدة قضايا اجتماعية تسري ضمن سياقات مختلفة ذلك أن «الطرح الروائي يكون هو الأبرز في التعبير عن حالة الوطن الرَّاهنة، والاقتراب من الذات العربية، والوقوف على سؤال الهوية المؤرق، وهي أسئلة مكرورة منذ مطلع النهضة العربية الحديثة (مصطفى عطية جمعة، ط1 . 2011، الصفحات 39-40)».

ت–المبدأ والوازع الديني لدى الأديب الجزائري:

ينجلي المبدأ والوازع الديني عند كل فرد في ذلك " المعيار الديني...والاحساس الديني (امحمّد عزوي، ط1 . 2013، صفحة 167)"إذ ذهب المفسرون لهذا المعيار بأنه «قوة معيارية تلزم الفرد على الخضوع، دون اللجوء إلى وسائل الاخضاع، والاحساس الديني أو الإحساس بالدين ظاهرة إنسانية رافقت الإنسان عبر العصور الطويلة، وقد اكتشفت الدراسات والأبحاث الاجتماعية والأنثروبولوجية، أنه لم يظهر مجتمع بشري بلا دين... (امحمّد عزوي، ط1 . 2013، صفحة 167)»

ويذهب أيضا أحمد كمال زكي إلى أنه «منذ قديم صاحب الدين الانسان، فسلم به أحيانا ورفض أحيانا أخرى أن يكون عنده متاحا لفهم الحياة، ومن بين أولاء وهؤلاء ظهر أدباء برزت عندهم مشكلة المعتقد... (أحمد كمال زكي، ط2 .1980، صفحة 188)».

كما اتجه الناقد إلى تفسير أن «الدين مقوِّم من مقومات المجال السلوكي للإنسان، ولهذا يجب ألا نستغني عنه (أحمد كمال زكي، ط2 .1980، صفحة 190)» ذلك أن موضوع الأدب أو الفن الروائي قد إستأث ر العديد من الباحثين والمفكرين تجاه المجال الديني والفكري الإسلامي.

ولهذا عمد الأدباء الجزائريون لأن يقع إختيارهم لمثل هذا التوجه الديني في الأدب باعتبار «أن الإسلام يتغلغل في حياة أفراده فإن مسألة إلتزامه–في الأدب–يجب أن تكون محلَّ تقدير... (أحمد كمال زكي، ط2 .1980، صفحة 191)» فالأساس الديني هو التعبير عن الوازع أو المبدأ الخالص لهذا التوجه عند الأديب أيًّا كانت ثقافته أو هويته، لذلك فارتباط الأديب الجزائري بمقومات الدين الإسلامي جعل الفنون النثرية كفن الرواية يحظى بتقدير جادٍّ، كون أن الفرد الجزائري له دافع قوي لأن يحافظ على أصالته وهويته وشخصيته الدينية.

ومن المعلوم أن الدين الإسلامي يعد من أرقى الديانات وأتمها على وجه الأرض، فقد جعله الله منهجا للمسلم، يتبع تعاليمه ولقد كان للاسلام دور هام في ذلك التكامل والتواصل بين الأمم، وذلك بفضل القرآن الكريم الذي عمل على حفظ اللغة العربية وآدابها، لذلك انساقوا إلى الكتابة بشقيها إما الشعرية وإمَّا النثرية منها وبالخصوص الفن القصصي ثم تطور فأصبح يقبل على فن أكثر تناسقا هو فن الرواية.

ذلك أن الروائي الجزائري قد نهج منهجا سويًّا بأنه تأثر بالقصص القرآني، إذ تجلت أعماله تستفيض فيضا متباينا، من السياق القرآني ومن معانيه التفسيرية، وعبره وحكمه الخالدة، كما توجه الروائي الجزائري إلى إتخاذ الحديث النبوي الشريف الذي لا يكاد يخلو من مقاصد تنجلي ضمن ما جاء به دستور الإسلام "القرآن الكريم"،فالقصص القرآني قد سار وفقه الأديب وقدَّم للقارئ عملا قصصيا مستمدا من مواعظ وقيم وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية، فالدين الإسلامي متكامل الأحكام والقيم، منهج كل مسلم كتابه ودستوره الأول القرآن، والذي شغل الكثير من الفقهاء والعلماء وحتى الأدباء بشتى أجناسهم ونِحلهم ومختلف أصولهم،بذاك الأسلوب البليغ المعجز (ينظر بكري شيخ أمين، ط 4 . 1980، صفحة ص155).

وإستخلاصا من كل ما تقدم نجد أن الروائي والأديب الجزائري ومن مقام أنه قد استوفى مجملا ما ألفه من أعمال قصصية وروائية، نجده متأثرا بالمبدأ الديني، والشخصية الدينية على علم أن جيل الثورة

الجزائرية وجيل ما بعد الاستقلال من الرواة، قد كان له النصيب الوافر للتطلع والتجربة الذاتية التي زادت من استيحاء معارف أكثر، ودراية واسعة بما يحيط ويشغل بال المواطن الجزائري آنذاك.

ث– نشاط الحركة العلمية والثقافية الدينية الأنثروبولوجية في الجزائر:

لقد سارت الحركة العلمية والثقافية الإسلامية أو الدينية في الجزائر، مرحلة دفعت بجدوة البحث والنهل من علوم الدين والثقافة الإسلامية من قبل نخبة من الأدباء والكتاب الجزائريين الذين أبوا إلا أن يستزيدوا علما وثقافة، وأن يؤلفوا ويفتحوا بابا آخرا للفن النثري الإسلامي، إذ لاننسى تلك الثقافات الوافدة من البلدان الأوروبية، لكن الأدباء آنذاك لم يكترثوا لهذه الأداب بصفة جديّة، باعتبار أن الآداب الأوروبية تحمل عادات آخرى غير عادات وتقاليد المجتمعات العربية الإسلامية وبذلك لقد نمت أنماط الفن الأدبي بشتى فروعه، وكان الفن الروائي قد أخذ حصَّة الأسد، بذكر أن هذا اللون النثري، يُلمُ بما يعايشه الأديب أو الكاتب، ويتخذه وسيلة لتوعية الفرد في المجتمع أيًّا كان مستواه الفكري أو الثقافي، فيطرح عدَّة قضايا دينية وإجتماعية يدرسها ويعالجها من الناحية الدينية الأنثروبولوجية، ويقدم شواهد وأدلة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ذلك أنه مضى يستأثر ويوظف النصوص الدينية في الرواية، فكان من أهم الأسباب في رقيّ الحركة العلمية الثقافية في الجزائر هو ذلك الوعي الديني، فالاسلام نجده يهيء نفسية الأديب بتوجه إسلامي، فيجعله يؤلف بكل حماسة وجدية، وتبيان الغموض وتفسير هذه النصوص(الدينية) تفسيرا يوحي بالروح الدينية للكاتب وبذلك تلعب الأنثروبولوجية الدينية دورها في التعريف بعادات وتقاليد المجتمع الإسلامي الجزائري وتوعية الفرد في المجتمع.

ثالثا: دور توظيف النصوص الدينية الأنثروبولوجية في توعية الفرد والمجتمع "رواية –الشمعة والدهاليز– للطاهر وطار أنموذجا".

عملت النصوص الدينية الأنثروبولوجية على تكامل دورها الهام الذي يتجسد في ذلك الوعي الديني والأنثروبولوجي المتكافئ، بالإضافة إلى أن فعل توظيفها على مستوى الفن الروائي زاد من قيمة هذا اللون النثري في الأدب بشتى أصنافه، فشكلت نمطا متعدد الوظائف باختلاف متطلبات كل صنف حسب دوره في النص سواء أكان نصا نثريا أم شعريا.

ومن خلال تبيان هذا الدور إرتأينا إلا إتخاذ نموذجا أمثل لعينة من الأعمال الروائية الجزائرية التي حظيت بهذا الدور، ووظفت أنماطا متعددة للنص الديني الأنثروبولوجي وهي رواية "الشمعة والدهاليز للروائي

الطاهر وطار (الطاهر وطار، 2013) ، فقد ذهب أحد النقاد إلى تقديم نظري يوضح فيه بعنونة"الهوية الدينية وعلامات التحديث" حول ما ورد في الرواية يقول: « يفتح عنوان الرواية لنا آفاقا من الرؤية اللامتناهية لماهية تركيبة المجتمع الجزائري بعد التحرير، الدينية والسياسية والثقافية والفكرية والإنسانية والحزبية، وتشابك هذه التركيبة وصراعاتها المتعددة حول الهوية الدينية والاجتماعية والسياسية...إلخ ويضع العنوان أمامنا المادة الحيوية الرئيسية، أو الفكر الفاعل في إنارة الدهاليز المظلمة- العصر- ويمثل الإسلام هذه الشمعة بكل تشابكاتها وفاعلياتها، وقدرتها على استيعاب لغة العصر وتفاعلاته وتعقيداته، بهوية منفتحة على الأخر حتى تستقيم قنوات هذه الدهاليز... (حسن عليان، ط 1. 2015، صفحة 142)».

وبتطور هذا الفن النثري في الجزائر، بدءا بالقصة القصيرة وما تلاها وصولا إلى فن الرواية، بشتى تداخلاتها وتقنياتها الفنية، فكانت تحمل لها قضايا عدة وبالخصوص الرواية الجزائرية المعاصرة ذات البعد الديني والتي هي محل دراستنا الآنية، فكان الخطاب الديني قد احتضن مثل هذا اللون الأدبي النثري ذا أبعاد دينية أنثروبولوجية نوردها فيما يلي:

أ-الدور أو البعد الديني الاصلاحي:

لا من شك أن الدور الديني الذي تؤديه الرواية الجزائرية المعاصرة هو في الحقيقة توجُّه غاية في القيمة الدينية والأدبية ، نظرا لما شاع وذاع صيته داخل عمق ثقافة المجتمع الجزائري من توجهات وعاداتٍ ذات أصول عقائدية، وذلك بنشر تعاليم الدين من ناحية تجسيد صور حية تمثل جزءا يسيرا ذا أبعاد إصلاحية ودينية بالدرجة الأولى، لهذا خطى الأديب الجزائري، نحو السير في مضمار الآخرين، وإعطاء النص أو الخطاب الديني دوره في معالجة عدَّة قضايا إنسانية وإجتماعية، والتراث العربي لا يخلو من توظيف مثل هذه النصوص في الفن الروائي أساسا، سواء أكانت من الدين الإسلامي أو من التراث أو من الأدب، وفي هذا الصدد يرجع د.فتحي بوخالفة بأن النصوص بمختلف أصنافها وأشكالها، تطرح إشكالية متباينة من ناحية"مسألة فهم النصوص" مهما كان صنفها إذ « إرتبطت محاولة فهم النصوص محاولة فهم النصوص الدينية والتراثية بالمحاولات الأولى للفكر البشري للتفسير وإدراك الحقيقة... (فتحي بوخالفة، 2010، صفحة 16)

فنجد أن تجربة الروائي الجزائري الطاهر وطار الإبداعية، كانت متفردة «بإبراز الجانب العقائدي لمسير المجتمع الجزائري المعاصر والتناقضات الاجتماعية العميقة التي نشأت بين عدة اتجاهات فكرية كان في

بعضها من يريد الاستحواذ على الأرض والانسان واستغلالهما لصالحه الشخصي، بينما كانت هناك فئة تناضل من أجل مجتمع جزائري تمحي منه الفروق الطبقية ويسوده العدل والمساواة... (شريبط أحمد شريبط، 2009، صفحة 160)» بيد أن الدور الأساس الذي إتخذه هذا اللون« يمتد ليشمل آفاق الحياة والروح والانسان والكون والمجتمع... (حلمي محمد القاعود، 2008، صفحة 20)» وبالتالي يشمل عدة تصورات تتعلق بجوانب عدة يعايشها الانسان في عصره، بالإضافة إلى وجوب إدراك العلاقة القائمة بين فن الرواية والفنون الأدبية الأخرى، التي أضحت نبراسا وقواما أدبيا يعد منافسا يعتد عليه أغلب الأدباء والروائيون الحداثيون، لكن ورغم هذا التنافس، إلا أننا نجد وفي خلال التطلع والدراسة حول موضوع **"تطور الرواية الإسلامية المعاصرة"** بصفة شمولية وحسب رأي أحد النقاد:« قليلة أيضا من حيث الكمّ، فالذين يكتبونها بتصور إسلامي صاف قليلون، ورواياتهم من حيث العدد محدودة... (حلمي محمد القاعود، 2008، صفحة 21)» قياسا مع الأصناف الروائية الأخرى.

ويتجلى لنا دور النصوص الدينية في عملها الإصلاحي البحت الذي يعمل على ترسيخ المبادئ والقيم الإسلامية في شخصية الفرد، وطرح عدَّة قضايا وربطها بالدور التوعوي وبثِّ تعاليم الدين الإسلامي في نفسية القارئ، من خلال تقديم النص القرآني والنص النبوي كإستشهاد وعامل ثابتٍ يرسّخ هذه المبادئ والقيم، ومن ناحية أخرى فإنه ينبذ قطعيا التصرُّفات السيئة التي نهى عنها الله ورسوله في كتابه العزيز القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

ب–الدور أو البعد الأنثروبولوجي:

يبرز البعد الذي تسير على خُطاه "الأنثروبولوجيا" كعلم متخصص في دراسة "سلوك الانسان كعضو في مجتمع (اسمهان بوشيخاي وحسن عالي، 2015، صفحة 154)" من ناحية ومن ناحية أخرى تدرس "أصول المجتمعات والثقافات الإنسانية وتاريخه (محمد الجوهري و علياء شكري، 2007، صفحة 35) "، وبدلالة أن هذا العلم(الأنثروبولوجيا) «يبحث في ثقافة المجتمع التاريخية ويقيس بها ثقافته المعاصرة لجدير بأن يكون الدين أحد روافده... (اسمهان بوشيخاي وحسن عالي، 2015، صفحة 173)».

فبمجيء الإسلام فرض على الانسان ضوابط يلتزم بأداءها كالفرائض والسنن وأداء أركان الإسلام الخمس التي تعد عمود الدين، ليصل إلى برِّ الأمان ويفوز بالجنة التي وعد الله بها كل مسلم التزم بأداءها على وجهها الصحيح والمكتمل، لهذا فالقرآن الكريم محكم في تنزيله، فهو «يعد آخر كتاب سماوي، بقي

محافظا على الحقيقة المطلقة ثم انتقل بعد ذلك إلى البحث في نصوص أخرى... (فتحي بوخالفة، 2010، صفحة 20)»،فبهذا اللإيجاز النظري حول مفهوم الأنثروبولوجيا نصبو إلى إدراك وإزاحة الغموض الذي يكتنف نوعا ما هذا الاشكال، ذلك أننا بهذا المفهوم نفسح المجال لتبيان الدور الذي يؤديه النص الأنثروبولوجي الديني في توظيفه في الخطاب الروائي.

رابعا: آليات توظيف النص الديني الأنثروبولوجي في الرواية الجزائرية المعاصرة:

لقد كان فضل توظيف النصوص الدينية ذات البعد الأنثروبولوجي في الرواية الجزائرية المعاصرة، دافعا مستميزا، له بالغ الأثر في بعث الدور الديني الذي يعمل على توعية الفرد في المجتمع، إضافة إلى أنه يقدم على الدور الذي يلعبه الخطاب الديني، باعتباره «جزء من التراث الذي حملته ثقافة المجتمع العربي...وتراث سردي قصصي فهو معين طيب منفتح يجعل الرواية العربية محافظة على أصالتها من جهة ومنفتحة على الإنسانية من جهة أخرى... (منصوري نجوى، 2011، صفحة 09)»

لذلك سعى الأديب الجزائري إلى توظيفه الخطاب الديني الأنثروبولوجي الذي يدرس جانبان أساسيان هما الجانب الديني في علاقته الوطيدة والمتينة مع علم الإنسان، فإذا وقفنا في إطلالة واسعة وجدنا أن تراثنا الأدبي والثقافي ليس بالمحدود بل هو نطاق واسع متباين الأبعاد، سواء من الناحية ال دينية الأنثروبولوجية أو من الناحية الثقافية الأنثروبولوجية، فالفن الروائي لا يمكن تهميشه من الجانب الديني، بل هو همزة وصل ينبني عليها علاقة وطيدة بين الفرد والمجتمع والدين الإسلامي، وبهذا ينمو الفكر الديني لدى الانسان لذا سمي بالفن الروائي الديني ذا البعد الأنثروبولوجي، فالإنسان فضله الله على جميع المخلوقات بأن وهبه العقل الذي يفكّر به ويبدع في تفكيره وتمييزه بين الصالح والطالح، وبين الخير والشرّ، وذلك بالتفقه في الدين الذي يعد« إنتاج عربي إسلامي محض، كما أنه أكثر منتجات الحضارة الإسلامية انتشارا وابعدها تأثيرا في تشكيل العقل العربي وتغلغلا في مناهج الدراسة والبحث في مختلف العلوم الإسلامية... (سيزا قاسم، 1987، صفحة 127) و (ينظر حسين خمري، 2007).

لذلك جعل الله "القرآن الكريم" منهجا يسير وفقه الانسان المسلم ومصدر القوانين الدنيوية في قِوامٍ مستقيم ﴿**قُرآناً عَربيا غَير ذِي عِوجٍ لعَلَهُمْ يتَقُون**﴾ **الآية 28 من سورة الزمر**، وكما في قوله تعالى﴿ **إيَاكَ نَعبُدُ وَإيَاكَ نَسْتَعينُ (4) إهْدِناَ الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ(5) صِرَاطَ الذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ (6) غَيرِ الَمغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الظَالِينَ(7)**﴾ **سورة الفاتحة.**

ثم تأتي بعد المصدر الأول السنة النبوية أو الحديث النبوي الشريف يعد ثاني مصدر ينتقي منه المسلم تعاليم الدين الإسلامي وهو تفسير ممنهج للقرآن الكريم يستمد منه الفقه والأصول الدينية، فهنا يلعب الدور الذي يؤديه النص أو الخطاب الديني الأنثروبولوجي(**علم الانسان/الأنثروبولوجيا**) في إبراز كل ما يشمله الفقه الديني والتراث الأصيل، وفي هذا الصدد نستخلص مدى محافظة هذه المصادر من القرآن الكريم والسنة النبوية وعلى الأقوال المأثورة من الصحابة الكرام على الأصالة والعروبة المفذاة التي جعلت من الانسان العربي يفتخر بأصالته وأخلاقه وتعاليم دينه من خلال ما توارثه عن الأسلاف، من تقاليد وموروث عربي يُمد الانسان العربي مكانة وهيبة في غالب المجتمعات، فالاسلام جاء ليحرر الانسان من العبودية والوثنية، ويكرّمه عن باقي المخلوقات بأن أمدَّه التفكير من خلال عقله، ويعلي من شأنه، لذلك وصف الله سبحانه وتعالى نبيه محمد(ص) في سورة القلم في قوله: ﴿ **وَإِنكَ لعَلَى خُلُقٍ عَظِيم** ﴾ الآية (04) من سورة القلم، فلقد ميَّزهُ الله بالخُلقِ العظيمِ، وبالأخلاق الحميدة التي إتَّصف النبي محمد عليه الصَّلاة والسَّلام.

وهذه آليات توظيف النص الديني في بعض النماذج الروائية كما يأتي:

1- توظيف النص الديني: "في رواية الشمعة والدهاليز للطاهر وطار":

ففي إتخاذنا لرواية الشمعة والدهاليز للطاهر وطار أنموذجا، أردنا أن نكشف طبيعة النص الديني ودوره في هذا المثال كما يلي:

أ-التناص القرآني في الرواية:

إن تعريف مصطلح التناص عند جوليا كريستيفا هو "عملية إنتاج من نصوص مختلفة (آمنة يوسف، 2015، صفحة 184)"، كما "يعني التعالق أي الدخول في علاقة بين نص أدبي ونصوص أخرى مختلفة (آمنة يوسف، 2015، الصفحات 183-184)"، ونحن بصدد معرفة مصطلح التناص القرآني: إذ يعرفه أحد النقاد بأنه «التناص الذي يجيء عبر "الاقتباس" أو "الأخذ عن آيات القرآن الكريم...فيما يطلق عليه بـ:"التناص المباشر أو الظاهر... (آمنة يوسف، 2015، صفحة 185)"

وبتوضيح أكثر نورد مثال عن "**التناص القرآني**" في النص الروائي فيما يلي:

كقول الراوي:

- " الله هو العقل" (الشمعة والدهاليز-ص 165).

- "الله هو إقرأ باسم ربك الذي خلق...إقرأ وربُّك الأكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم"(الشمعة والدهاليز – ص165).
- "الله هو حقيقته التي بثَّها في الكون وفي الكائنات"(الشمعة والدهاليز–ص165).
- "الله نور السماوات والأرض، بما في الأرض من سراديب وكهوف ودهاليز"(الشمعة والدهاليز– ص165).

فهذه الأقوال مقتبسة إقتباس مباشر من القرآن الكريم، وبالتالي ندرج هذا الاقتباس الظاهر على أنه **"تناص قرآني"** بالمعنى التام للكلمة.

2– توظيف النص الديني في القصص الشعبي الجزائري المعاصر:

إن توظيف النص الديني في الحكاية الشعبية الجزائرية، لها عدّة أبعاد إنسانية بإعتبار أن: «المعايير الدينية أقوى تأثير في حياة الانسان وأكثر تكاملا...لأن التكامل هنا ينصب على التضامن البشري أو على التماسك بين البشر المشاركين في النسق الديني... (امحمّد عزوي، ط1 . 2013، صفحة 169)»

ولعل تأثير المعيار الديني في النفس البشرية ظاهر لا محالة لأن «لكل واحد منا وضعا دينيا مخفيا في كواممننا الداخلية شديدا أو مخففا لكنه موجود... (امحمّد عزوي، ط1 . 2013، صفحة 169)» ذلك أن هذا الوازع أو المعيار الديني قد تماثل في سلوكات الفرد فاضحى يساير ما يُروى من حكايا وأمثال شعبية تمثل المظهر الخارجي لتصرفاته وانطباعاته داخل كينونة المجتمع.

لذلك نجد أن «النصوص القصصية الشعبية الجزائرية مهما تعدّدت وتنوعت واختلفت مصادرها وأصولها فإنها لاتبتعد عن المسحة الدينية الإسلامية، تتحكم فيها معايير وقيم نابعة من الدين الإسلامي... (امحمّد عزوي، ط1 . 2013، صفحة 170)».

ومن نماذج القصة أو الحكاية الشعبية الجزائرية نذكر "قاضي لحمام"، فهذا النص الروائي الشعبي الجزائري هو «نص قصصي يروي عن صراع وقع بين عربي ويهودي (امحمّد عزوي، ط1 . 2013، صفحة 171)» جرى بين كلايهما خلاف حول قضية بيع أملاك أحدهما إذ تروي القصَّة أحداثا وقعت في صراع بين عربي ويهودي، وتعود أحداثها بأن «طلب أحدهما من الثاني أن يشتري منه كل شيء ويخرج أو يبيع له كل شيء ويخرج من القرية... (امحمّد عزوي، ط1 . 2013، صفحة 171)» وحدث أن حدَّدا الميعاد بينهما لكنَّهما سرعان ما إختلفا في الأمر فوقع ذلك الخلاف.

3- توظيف القصص القرآني أو الديني:(رواية"رمل الماية" لواسيني الأعرج):

يتجه بعض الروائيون الجزائريون إلى توظيف القصص الديني في الخطاب الروائي المعاصر، حيث عُدَّ هذا الأخير جزءا متباينا يؤدي دوره البارز، جاعلا من هذا التوجه الديني للروائي الجزائري سبيلا له في نشر مثل هذا الوعي الديني مستعينا بما ورد في القرآن الكريم من قصص كان له الفضل في أخذ العبرة عما قُصَّ عن الأنبياء عليهم السلام والسلف الصالح الذي لابد للفرد لأن يأخذ منهم الأسوة الحسنة والمواقف التي تعد خالدة مهما طال أو قصر الزمن.

لذا فقد اتخذنا رواية جادَّةً ألفها الروائي الجزائري واسيني الأعرج، جسَّد من خلالها وقائعا تجلى فيها صورا عن قصة مأخوذة من القصص القرآني آلا وهي قصَّة "أهل الكهف" إذ أطلق على هذه الرواية تسمية "رمل الماية: فاجعة الليلة السابعة بعد الألف (واسيني الأعرج، 1993)".

إذ يذهب الروائي إلى سرد أحداث هذه القصة، والتي ارتأينا تقسيم أحداثها (ينظر محمد رياض وتَّار، 2002، الصفحات 158-159)كما يلي:

1-مغادرة بطل الرواية البشير المورسكي إلى بلاد أخرى بعد مطاردته من طرف محاكم التفتيش، حيث واجه عدة مشاكل أثناء رحلته لكنه استطاع أن يتخطاها، ثم بعدها لجأ إلى الهروب سالكا البحار، فعثر عليه ملقى في الشاطئ بحيث وجده الحكماء السبع.

2-فنقلوه تجاه كهف عتيق، ولم يستيقظ إلا بعد مرور سنين طويلة قدرها الكاتب بـ:"ثلاث قرون ونيف".

3-نهوض البشير المورسكي من هذا النوم العميق، وعند خروجه من الكهف نقله أحد الرعاة إلى " جملكية أمدوكال".

فهذه القصة قد ماثلها واسيني الأعرج بقصة "أهل الكهف" التي وردت في سورة الكهف في قوله تعالى:﴿ **إِذْ أَوَى الفِتْيَةُ إِلَى الكَهْفِ فَقَالُوا ربَّنا أتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّء لنا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (10) فَضَرَبْنَا عَلَى أَذَانِهِم فِي الكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا(11) ثُم بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَم أيُّ الحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أمدًا(12) نَحنُ نقُصُّ عَلَيكَ نَبَأهُمْ بِالحقِّ إِنهُم فِتيَةٌ آمنُوا بِرَبِهِم وَزِدْنَاهُمْ هُدًى(13)** ﴾ **الآيات (10،11،12،13) من سورة الكهف** .فهذه القصة الدينية قد حكت تفاصيل وردت بالمثل في سورة الكهف فاراد واسيني الأعرج محاكاة القصص القرآني في نمط سرده للحكاية فكان ذلك التماثل في كلا الروايتين ذات البعد الديني الأنثروبولوجي.

خاتمة:

وفي ختام هذا البحث نستخلص أن الرواية الجزائرية المعاصرة قد وظفت النصوص الدينية الأنثروبولوجية، التي اثرت من هذا اللون الأدبي وزادته قيمة، إذ يبرز دورها في توعية ونشر تعاليم وقيم الدين الإسلامي، من ناحية بث الروح الدينية في النفوس والافراد، والتأثير الداعي إلى عدم الرجوع إلى التصرفات السيئة التي ينبذها الدين والمجتمع، لذلك فتوظيف النصوص الدينية في الخطاب الروائي المعاصر، يعمل بصفة مباشرة على طرح مسألة كان لها السبق في وقوعها، فعمد الكاتب على ايرادها لتبيان مغزاها ومدى دورها في طرحها في مثل هذا اللون النثري واستفادة القارئ من المغزى الذي تؤول إليه من خلال توظيفها في النص القصصي، لذلك وجدنا أن تأثر الأديب الجزائري بالواقع الاجتماعي والظروف المؤثرة جعلت الكاتب يتهيأ فكريا وأوجبت عليه التعبير وفرض عدة توجهات فكرية وأدبية كان لزاما أن تترسَّخ في ذهنية الكاتب الجزائري، فمن الطرائق التي نشأت في سياق الكتابات الروائية النابعة من الأصالة والتراث، كالوعظ والإرشاد الذي يكمن في الحث على وجوب الحرص على تعاليم الدين الإسلامي كالوعظ الديني جاعلا منه وسيلة لإصلاح الفرد في المجتمع والمحافظة على الهوية والاصالة والتراث لديه، فاذا رجعنا إلى حدى دور هذه النصوص وآلياتها من خلال توظيفها في الرواية الجزائرية المعاصرة نجد ذلك التناسق في الربط بين النص الديني والنص العادي الذي يزيد من جماليات النص الروائي بإدخال تقنيات وآليات جديدة كالتناص القرآني، وكذلك توظيفه النص القصصي الشعبي والقصة الدينية في النص السردي الجزائري التي آلت إلى بلوغ الهدف الأسمى وهو المحافظة على أصالة المجتمع الجزائري.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش.

المصادر:

1. الأعرج واسيني "رمل الماية–فاجعة الليلة السابعة بعد الألف" – ج1–دار الاجتهاد–المؤسسة الوطنية للكتاب–الجزائر–1993.
2. الجوهري محمد وعلياء شكري "مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا –دار المعارف – القاهرة – 2007.

3. العدواني معجب "الموروث وصناعة الرواية-مؤثرات وتمثيلات"، منشورات الاختلاف - ط1- 2013.
4. القاعود حلمي محمد "الرواية الإسلامية المعاصرة"-دراسة تطبيقية-العلم والايمان للنشر والتوزيع-2008.
5. بكري شيخ أمين "التعبير الفني في القرآن" دار الشروق-بيروت -الطبعة الرابعة-1980
6. حسين فهيم "قصة الأنثروبولوجيا – فصول في تاريخ علم الانسان" (يناير 1978) عالم المعرفة –الكويت 1986.
7. وتار محمد رياض "توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة"-منشورات اتحاد الكتاب العرب-دمشق-2002.
8. وطار الطاهر "اللاز" موفم للنشر –الجزائر-2013.
- ------- "الشمعة والدهاليز" موفم للنشر-الجزائر-2013.

المراجع:

1. أبوهيف عبد الله "الابداع السردي الجزائري-دراسة" –وزارة الثقافة-2007.
2. أحمد كمال زكي "دراسات في النقد الأدبي"-دار الأندلس للطباعة والنشر-الطبعة الثانية-1980.
3. بوخالفة فتحي "شعرية القراءة والتأويل في الرواية الحديثة"-عالم الكتب الحديث-إربد الأردن-2010.
4. جمعة مصطفى عطية "ما بعد الحداثة في الرواية العربية الجديدة-الذات-الوطن-الهوية"،ط1، الوراق للنشر والتوزيع،2011.
5. خمري حسين "نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال-منشورات الاختلاف –الجزائر – 2007.
6. شريبط أحمد شريبط "تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة"-دار القصبة للنشر-الجزائر 2009.
7. عزوي أمحمد " الرَّمز ودلالته في القصة الشعبية الجزائرية"-دار ميم للنشر-ط1-2013.

8. عليان حسن "تقنيات السرد وبنية الفكر العربي في الرواية العربية"-الآن ناشرون وموزعون – الطبعة الأولى 2015.
9. قاسم سيزا "الخطاب التاريخي من التقييد إلى الارسال قراءة في الطبري والمسعودي وابن خلدون-بيروت – ج د ع ضمن الأدب العربي 1987.
10. يوسف آمنة "تقنيات السرد في النظرية والتطبيق"-المؤسسة العربية للدراسات والنشر" ط2- بيروت-لبنان 2015.

المقالات:

1. اسمهان بوشيخاي وحسن عالي "دراسة الأنثروبولوجيا من وجهة نظر الدين" مجلة أنثروبولوجيا الأديان 11-(1) – 153-180 – www.asjp.cerist.
2. منصوري نجوى "التعلق النصي بين الرواية العربية والخطاب الديني" النفير والقيامة" لفرج الحوار- أنموذجا –جامعة محمد خيضر-مجلة كلية الأداب واللغات-جانفي 2011-العدد 8- بسكرة.